بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة -21-

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا وحبيبنا محمّد المصطفى الأمين، وآله وصحبه أجمعين:

اللهمّ إنّي أتبرّأ من حولي وقوّتي إلى حولك وقوّتك، فإنّه لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

في المرحلة الثالثة: برزت عندنا معالم جديدة واضحة جدًّا، منها ما تحدّثت عنها في اللقاء السابق، ووعدتكم أحبّتي أنْ أتكلّم عن سلمية الدعوة في هذا اللقاء -إنْ شاء الله تعالى- وهكذا قدّر الله عزَّ وجلَّ أنْ يكون الكلام على هذا المَعْلَم - من غير قصد منّي كما لا يخفى على حضراتكم- أنْ يكون في صبيحة ليلة السلام، ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، في يوم السابع والعشرين:-

{سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [سورة القدر: 5]

سبحان الله، وكأنّ الله عزَّ وجلَّ يريد أنْ يربّيَنا جميعًا على مبادئ لأهل الذوق، منها: أنّ الله تبارك اسمه يسوق لهم الأقدار حسب ما أراد سبحانه من معاني الرحمة والمودّة والغفران، أنّه كريم وهاب جلَّ جلاله وعمَّ نواله، فالكلام عن السلام في يوم السلام، في ليلة السلام أمر جميل، وموافقة يتفاءل العبد بها،

وهو سائر إلى مولاه سبحانه، لأنّ أفضل ما يمكن أنْ يُقال حين يعرض العبد على ذي الجلال عزّ شأنه، أفضل ما يقال -إنْ تمكّن الإنسان من المقال-: اللهمّ أنت السلام، ومنك السلام، فحيِّنا يا ربَّنا بالسلام؛ اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، فحيِّنا يا ربَّنا بالسلام، تباركت وتعاليتَ يا ذا الجلال والإكرام.

وأروي لكم عن سيّدي وشيخي وأستاذ الجيل طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، حضرة الشيخ عبد الله الهرشمي، قال: يا بني! حين تُعرَضُ على الله تبارك وتعالى فإنْ استطعت أنْ تقول شيئًا، فلا تقل: إنّي أتيتك بصلاة كذا عام، أو بصيام كذا سنين، أو بحجّ بيتك الحرام كذا من المرّات، أو أنْ تذكر شيئًا من أعمالك، إيّاك أنْ تقول هذا، إنّما إنِ استطعت أنْ تقول شيئًا، فقل: اللهمّ أنت السلام، ومنك السلام، فحيِّنَا يا ربّنا بالسلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام.

فالحمد لله أحبّتي أنَّ الله عزّ وجلّ يلطف بنا، ويأخذ بأيدينا إلى مواطن رضوانه جلَّ جلاله وعمَّ نواله، فها نحن في صبيحة ليلة القدر، صبيحةِ السابع والعشرين من هذا الشهر المبارك -كما لا يخفى على حضراتكم- وهو رأي جمهور أهل العلم أنّها ليلة السابع والعشرين، ليلة السلام، نتحدّث عن مَعْلَم سلمية الإسلام.

المرحلة الثانية والثالثة، كلّها تأسيس لأصول وقواعد الدِّين، إذنْ ما يُؤسس في هذه المراحل يكون مبادئ أساسية لا تقبل نسخًا، ولا تقبل وجهات نظر، وإنّما هي أركان، وهي ثوابت، وهي جذور، وليست وقائع حال.

ما معنى وقائع حال؟ خير أنيس في العلوم مثال، فمثلا: يسألك إنسان يقول لك:

* ما حكم تعدّد الجُمَع الآن؟

تقول: جائز، جائز أنْ نصلّي الجُمع في أكثر من مسجد، وإنْ كان الأولى كلّما استطعنا أنْ نختصر المساجد والجُمع سيكون أبرز لمعالم هذه الشعيرة الإسلامية، ولكن إذا اقتضت المصلحة، واقتضى الحال أنْ نعدّد الجمع، فلا بأس هذا جائز.

فيقول لك: ربّما هو دارس بعض الشيء، فيقول لك: أخطأت.

لِمَ يا أخي أخطأتُ؟

يقول لك: ما صلّى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، جُمُعًا متعدّدةً.

فماذا يكون الجواب؟

نقول: عدم صلاته عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام الجمعة بشكل متعدّد في أماكن متعدّدة، هذا واقع حال، كان واقع حال في فترة من الزمان، وليس منعًا من تعدّد الجمع، فلم يأتِ دليل واضح وقاطع يقول: لا تعدّدوا الجمع، الدليل القاطع مثلا جاء -والشيء بالشيء يذكر- أنّه:-

(الحَجُّ عَرَفَةُ) الإمام الترمذي رحمه الله جلّ ذكره.

فلا يجوز لك أنْ تقف على جبل الصفا، وتقول: هذا حجّ، وتقول: نعدّد؛ فالآن أصبحت مصلحة وحاجة أنّ نعدّد! نقول لك: لا، لا يجوز أنْ تعدّد، لأنّ الأمر ليس في واقع الحال، وليس في مجال الإباحة، وإنّما هو في مجال التشريع، المشرّع قال: (الحَجُّ عَرَفَةُ) صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فأنت لا

تستطيع أنْ تعدّد، لكن هنا المشرّعُ ما قال: الجمعة جمعة واحدة، ولا قال: لا تعدّدوا الجمع، وإنّما صلّى الجمعة في جماعة في مكان واحد، فهذا واقع حال، كان هذا واقع حال، وعليه فإنّ واقع الحال لا يكون تشريعًا.

إذنْ ما يؤسّس في هذه المرحلة الأولى والثانية هي جذور، هي أصول، هي لا تقبل نقضًا، هي لا تقبل وجهات نظر، لا تقبل اجتهادات، وحينما أقول: اجتهادات، أي اجتهادات قائمة على أصولها، موكّلة إلى أهلها وأصحابها، وليس لكلّ مَنْ هبّ ودبّ -نعوذ بالله تبارك وتعالى-

فالسلمية في الدعوة في الإسلام -في الدعوة، وفي غير الدعوة- السلمية ركن ركين لا يجوز الاعتداء عليه وتغييره؛ فلذلك (13) سنة، سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، يوطّد جذورها في الفكر الإسلامي، في المجتمع، في العقيدة، مع شدّة المعارضة، مع ضراوة المعارضة، فماذا أبقت قريش لسيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم من صور الأذى لم تعمله، ماذا بقي؟ استهزاء؟ استهزأوا، اتّهام؟ اتهموا، انتقاص؟ انتقصوا، إيذاء جسدي؟ آذوا، إيذاء معنوي؟ آذوا، إلى درجة أنَّهم يجعلونَ أتباعه على الرمضاء، وعلى صدورهم الصخور، إلى درجة أنْ يقتلوا النساء والرجال، ويخلعون أعضاء الطفل، يفصلون الطفل عن أمّه وأبيه، ويضطرّونهم إلى الهجرة، وترك ما هم فيه، ويحاصرونهم إلى حدّ المجاعة، التي أدّت إلى أنْ يأكلوا أوراق الشجر، إنْ وجدوها! إلى حدِّ أنّهم يأكلون جلود الميتة. فماذا أبقت قريش؟! تآمر على القتل، مباشرة القتل...إلى آخره، وليس يومًا أو يومين؟ ولا أسبوعًا أو أسبوعين، ولا شهرًا أو شهرين؟ نتحمّل! لا، بل

سنين، سنين طويلة، طيّب: ما هو الردّ؟ لا يوجد أيّ ردّ! سوى العفو والصفح والصبر الجميل، سوى هذا.

ويأتي ويقول لك الباحثون: الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، سبّ آلهتهم، وشرّع هذا السبّ!

حقيقة ما وجدتُ هذا السبّ، وإنّما بيّن أنّ هذه المعبودات التي تعبدونها هي لا تصلح أنْ تكون معبودات، لأنّها لا تضرّ ولا تنفع، هي لا تستطيع أنْ تحمي نفسها، فإن اعتبروا هذا سبًّا وشتمًا، فهذا توصيفهم للواقعة، وما أسرع الظالم الطاغي أنْ يوصف كلامك، بمعنى أنّك تأتي بكلّ شفقة وحنّية، تدعوه إلى النجاة، إلى الطمأنينة، إلى كذا، إلى كذا، وهو يأتي ويقول لك: أنت تريد منّي أنْ أسبّ أبي وأمّي لأنّي سوف أعارض عقيدتهم؟! يا أخي أنا لم أسبّك.

ربّما بعض المسلمين، ربّما من شدّة الأذى، ربّما من شدّة العنت، ربّما اندفاع وغيره من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وعنكم، ربما قال قولا، أو تصرّف تصرّفًا، ولكن السؤال الآن -لأنّكم أحبّتي كلّكم أهل العلم- السؤال الآن -ونحن نتكلّم عن تشريع- مَن المشرّع في ذلك الزمان؟ اذهبوا واقرأوا تاريخ التشريع الإسلامي، فهل رأي الصحابي مع وجود النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم له وزن في التشريع؟ بمعنى: هل هو من مصادر التشريع؟ الرسول الأعظم عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، موجود، ويوحى إليه، ويأتي صحابي جليل، ويذكر رأيًا، ثمّ يقال: هذا رأي صحابي، ويجب أنْ نأخذ به؟ لا، لا يجب، ولا يعتبر مصدرَ تشريع، قولًا واحدًا، إلّا في حالة واحدة، إذا أقرّه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وصحبه وسلّم، فبعدما أقرّه صار

تشريعًا، صار مسندًا إلى النبيّ صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، وليس هذا أمر الصحابي، أو فعل الصحابي، حتّى يشرّع.

طيّب، الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم مثلًا جهر بالدعوة، وذهب وجلس وصلّى في الحرم، وقال للذي جاء وجلس إليه، وذهب إلى بعض أقربائه، وبعض أصدقائه، وقال لهم: إنّي رسولُ الله إليكم، فهو يشرّع علانية الدعوة، ويشرّع أنّه يبيّن أنّه هو رسول الله، فإذا دخل اثنان، أو ثلاثة في شِعْب يصلّون في خفاء، فهؤلاء ليسوا مشرّعين، أباح لهم الدّين، لأنّ الدِّين فيه رحمة فيه سعة:-

{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ---} [سورة البقرة: 286]

يقول: إذا صلّيت أمامهم قد يؤذونني، وقد يضربوني، وأنا أريد أنْ أخشع، وأريد أنْ أتمتع بهذا الدِّين.

-لأنّ لكلِّ جديد لذّة- فتصوّر إنسانًا كان لا يعرف الله عزَّ وجلَّ أو يعرف، ولكن معرفة ضبابية، لا يفهم من هذه المعرفة شيئًا، فجاءه النور، جاءه البيان، جاءه الحق، فآمن به، وتغلغل في قلبه، فكم يستأنس عندما يقف ويصلّي ركعتين، حتى لو كانت صلاة ليس فيها سورة الفاتحة، لأنّها لم تنزل بعد، حتى لو كانت صلاة ليس فيها شروطًا معيّنة، فيها نوع من التوسّع في الأداء، بمعني: لا يوجد أوقات محدّدة لا بُدَّ أنْ تلتزم بها، أو شروط معيّنة لا بُدَّ أنْ تلتزم بها.

المهم، عندما يتذوق -هذا الذي كان محرومًا- ولأوّل مرّة، فكلّ جديد له لذة، يقول لك: والله إنّي أقف أمام هؤلاء المتعجرفين أصلّي وهكذا! وهذه أمّ سيّدنا

مصـعب بن عمير رضـي الله تعالى عنه عملت ما عملت بابنها الحبيب الوحيد والفريد، وذاك عمل بعبيده كذا وكذا، لا والله، بل دعنا نذهب وننزل بهذا الوادي نصـلّي، نتمتع بصـلاتنا، نتذاكر ديننا الجميل، ومتى ما أردنا أنْ نتعلّم أكثر فالرسـول صـلّى الله تعالى وسـلّم عليه وآله وصـحبه العدول، عند جبل الصـفا، نذهب ونجلس عنده، نتشرّف به عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين.

فالرسول الأعظم هو المشرّع، هو الذي جهر، سواء كان الجهر بصورة فردية مثلما قلت لكم فيما مضـى، أو صـارت بصـورة جماعية في المرحلة الثالثة، مَن المشـرّع في تلك المرحلة؟ سـيّدنا رسـول الله صـلّى الله تعالى وسـلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه هو المشرّع، وليس غيره.

طيّب: فالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، (13) سنة من بعثته إلى هجرته يتحمّل كلّ هذا الأذى، وهناك أناس لم يسـتطيعوا أنْ يصبروا، فتصرّفوا تصرّفًا فرديًّا، هل تصرّفهم الفردي تشريع؟ نقول: لا، ليس تشريعًا، وكيف يكون تشريعًا وقد جاء النهي بعد ما انتشر الخبر؟ حتى لا أحد يقتدي بهم، قال ربّ العالمين:-

{وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُـبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ---} [سـورة الأنعام: 108]

يا سلام! ثمّ يأتيك شخص فيقول: أنت يا سعد الله لا أعرف ماذا تقول! كيف لا نسبّ؟ وكيف لا نشتم؟! يا أخي أين:-

(لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ) الإمام الترمذي رحمه الباري عزّ وجلّ

بعد ذلك يقول لي: لا، هذا، ولا أعرف إنْ كان مسموحًا أنْ أذكر لكم بعض صفحات حياتي، وهذه للتوثيق يا إخواني، فنحن لا نريد أنْ ننتقص أحدًا، أو لا نريد ذكر معايب أحد، وإنّما نذكر هذا من باب الحكمة، من باب أنْ نتعلّم حتى نترقى، ونسأل الله تعالى الرحمة لكلّ مَنْ يقول لا إله إلّا الله سيّدنا محمّد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، موقنًا بها قلبه:-

يوم الخميس 2 آب سنة 1990م دخل الجيش العراقي إلى الكويت، كان يوم خميس أذكره إلى الآن، وفي اليوم الثاني عندي خطبة، فخطبت خطبة، وبعد الحمد والوصية بالتقوى، قلت: لا خير فيَّ إنْ لم أقلها "أعني قولة الحق" ولا خيرَ فيكم إنْ لم تسمعوها "أقصد الحكومة" وفي ذلك الوقت الحكومة قوية، وعدة جهات أخرى، والوضع وضع حرب ومُربك، والنّاس جلسوا صباحًا الجيش العراقي داخل الكويت، الآن التقطوا أنفاسهم من حرب إيران (8) سنين، لم يمر عليهم سنة، أو سنة ونصف، على الأكثر سنتان، لا والله ما صارت سنتين، لأنّه 8 / 8 / 1988 وقفت الحرب، ودخلوا الكويت 2 / 8 / 1990 تقريبًا دخلوا الكويت.

فما هو: لا خير فيّ إنْ لم أقلها، ما هو القول: لا خير فيّ إنْ لم أقلها، ولا خير فيكم إنْ لم تسمعوها؟ قلت لهم: هذا خطأ، معالجة الخطأ بالخطأ! أنا لا أعرف 100% أنّ الكويتيين يسرقون أموالنا، أو أنّهم يؤذوننا، الله تعالى أعلم، ربّما، ولنفرض أنّه صحيح، فنحن لسنا الآن في مجال تحقيق، وبيان مَنْ هو حق، ومَنْ هو باطل، لكن هذا خطأ أكيد: فإذا كانت الحكومة الكويتية تسرقنا فهذا خطأ، أكيد أنّ هذا خطأ، ولكن نحن لا نعالج الخطأ بالخطأ، لا نذهب ونحتل

الكويت، وندخل الكويت، ويوجد قوانين، ويوجد أعراف، يجب أنْ نتصـــرّف بحكمة، وانظروا الرسـول الأعظم صـلّى الله تعالى عليه وآله وصـحبه وسـلّم، كيف يعلّمنا الحكمة؟ والله عزَّ وجلَّ كيف يأمرنا بالحكمة؟

المهم قلت هذا القول، وأنّ هذا التصـــرّف خطأ، لا يجوز أنّ جيراننا نائمون، وندخل عليهم بالدبابات والمدافع، مهما كان الســـبب، فبعد الخطبة أخذوني إلى الأوقاف، وكانت في وقتها -رحمه الله تعالى- عبد الله فاضل السامرائي وزيرًا للأوقاف، وكان دكتور محمد شـريف، أو محمود شـريف -لسـت متأكدًا- وكيلًا لوزير الأوقاف، فذهبنا ودخلنا، وأخذوني إلى غرفة في وزارة الأوقاف، وقد فتحوا مجلسًـــا تحقيقيًّا عليَّ، يريدون أنْ يتأكّدوا أنّ هذا القول هل قلته؟ وهل أتراجع عنه؟ أم لم أقله؟ فقد وصلتهم الأخبار.

فأوّل شـــيء الدكتور محمّد -لا أدري إنْ كان حيًّا -الله يحفظه- وإنْ كان ميتًّا -فالله يرحمه- قال لي:-

يا سعد الله! لماذا تدخل في هكذا مواضيع؟

فقلت له: إذا منبر النبيّ صـــلّى الله تعالى عليه وآله وصـــحبه وســـلّم، لا يأخذ بأيديكم إلى ما فيه الخير، فمَنْ إذن؟

قال: كيف يكون خيرًا؟ ...

في هذه الأثناء دخل الوزير عبد الله فاضـل السـامرائي -رحمة الله تعالى عليه- وعيونه تقدح نارًا، وكان رجلًا ذا هيبة أيضًـــا، وقد رحل إلى دار الآخر -على ما أذكر- قتلوه في العامرية بعد خروجه من صـــلاة التراويح، فالله ســبحانه إنْ

شاء ختم له بحسن الختام، في رمضان، والرجل خارج من صلاة التراويح من المسجد، ونحن لا نحمل في قلبنا على أيّ أحد- فكانت عيونه تقدح نارًا، وهو يلبس الزيتوني، وحوله عدد من الحرس، والمديرين العامّين، والوكيل الذي يحقق معي، وعلى ما يبدو بعض المعمّمين يعلّمونهم كيف يتكلّمون، فقال: لا، ليس فيها شيء إنْ أنت تسبّهم، أليس الله يقول:-

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [سورة المسد: 1]

فقلت: نعم، صدق الله العظيم، الله قال، لكن هذا الله يقول، أمّا أنا فلا أسبّ أحدًا سيادة الوزير، أنا ممنوع من السبّ:-

(لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ) الإمام الترمذي رحمه الباري عزّ وجلّ.

يعني للأمانة -الله يرحمه- والله إخواني، قلت هذا الكلام فكأنّما برد غضبه، وسحب نفسه من الغرفة، سحب نفسه وذهب، وتركني مع الدكتور محمد.

فالمقصود أحبّتي: إذا كان في هذه الفترة -ونحن نتكلّم في هذه الفترة، لا نتكلّم بعد انتقال الحبيب صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وإتمام الدِّين، وانقطاع الوحي، فنعم رأي الصحابي هذا من مصادر التشريع عندنا- ولكن في ذلك الوقت، لا، ليس من مصادر التشريع، ارجعوا إلى تاريخ التشريع الإسلامي، وانظروا في كلّ مرحلة فيها مصادر، تحدث مصادر جديدة.

ففي ذلك الوقت رأي الصحابي لا يعتبر من مصادر التشريع، فإذا ضرب أحد من الصحابة كافرًا، أو مشركًا، أو ذهب وعمل، مثلما فعل سيّدنا عمر رضي

الله تعالى عنه بعدما أسلم وذهب وأعلنها بهذا الشكل، وقال لهم: نعم أنا كذا... فهذا هو رأيه، أمّا الدِّين في مجال الدعوة إلى رب العالمين سبحانه فلا يكون بالسبّ ولا بالشتم، وهؤلاء ليس عليهم إثم (إثم السبّ والشتم)، لأنّه لم ينزل النهي بعدُ، فالدِّين في بدايته، والمشكلة أنّ بعض الباحثين لا يفرّقون بين المراحل، بعضهم وليس كلّهم.

فالذي يريد أنْ يقول في شرع الله جلّ في علاه لا بُدّ أنْ يكون عالمًا، لا بُدَّ أنْ يكون موصولَ اليدِ بحضرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، لا بُدَّ أنْ تكون له أدوات الاجتهاد، فعندما آتي إلى النصّ، لا بُدّ أنْ أنظر إلى متعلّق النصّ، لا بُدّ أنْ أنظر إلى زمان النصّ، فمثلًا متعلّق النصّ في آية تتحدّث عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهل أفهمها مثلما لو نزلت الصيغة نفسها في حقّ المسلمين؟! مثلًا:-

{--- لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم: 87].

هذا قول سيّدنا ذي النون، سيّدنا يونس عليه الصلاة والتسليم، وتسبيحه في بطن الحوت، فالنصّ بمَن يتعلّق؟ يتعلّق بنبيّ من الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، فكيف أفهم كلمة الظالمين {--- لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}؟ من معاني الظلم الشرك:-

{يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة سيّدنا لقمان عليه السلام: 13]

فقد يتسرّع أحد ويقول على سيّدنا يونس عليه السلام هذا المعنى؟

من الظلم أنْ تدوس على حقوق الآخرين، فهل هذا المعنى يصـــلح مع ســـيّدنا يونس عليه السلام؟

يأتي آخر فيقول:

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ---} [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: 24]

أستغفر الله، يقول: جلس بين كذا... -لا أستطيع أنْ أقولها-؟ يا أخي! شخص من الشـــارع لا يفعل هذا الفعل، والله هناك أناس عندهم غيرة، لا يفعلونها! أنت تتحدّث عن نبيّ ابن نبيّ ابن نبيّ، الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليه الصـــلاة والتسليم، تأتي وتفسّر الآية {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ---} بهذا الشكل! هذه غفلة عن أصول الاجتهاد.

طيّب، أنت تتحدّث عن نصّ، وعن واقعة في زمن النبيّ عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، فكيف تعطيها حكم على أنّها من الشرع، ويجب أنْ نلتزم به، والرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، موجود، بل وأكثر من ذلك، غاب عن ذهنك أنّ الله عزَّ وجلَّ نهى عن ذلك:-

{وَلَا تَسُبُّوا ---} نهيّ.

إذنْ سلميّة المسلم، سلميّة الداعي، من باب أولى، فهذه (الصفة) تضعوها تحت مواصفات الداعي، وكذلك (ضمن) مواصفات ما ندعوا إليه، وكذلك (ضمن) الوسائل التي تذلل العقبات، لأنّك بالعفو والصفح:-

{--- ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ---} [سورة فصّلت: 34]

فسوف تصل إلى مرتبة زاهية من المحبّة والأخوة والمودة:-

{--- ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم} [سورة فصلت: 34]

فهذه تضعها في الكلية الخامسة، وجه الحياة، صفة الحياة، حينما نطبّق الإسلام، تصبح صفات كلّها رحمة ومودة وأخوّة ومحبّة وتواصل؛ فالاعتقاد لا يكون بالإكراه، لأنّه اختيار:-

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر ---} [سورة الكهف: 29]

أي: هذا هو الحق، فأنا أتيتكم بهذا الحق، هذه معجزتي، هذا ديني، هذه من شريعتي، ما زالت الشريعة تتنزل، ولكن هذه (الأمور) الموجودة الآن، هذه هي، أدعوكم إليها، أعرضها عليكم، تقبلوها، فلكم الجنّة، لكم السؤدد، لكم الخير والطمأنينة، لا تقبلونها، احذروا فأمامكم عذاب الله عزَّ وجلَّ، وفي حياتكم أيضًا يوجد نكد:-

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ---} [سورة طه: 124]

إذن هذا هو الحق، ولكن أجبركم عليه؟ أرفع السيف على رؤوسكم، وأقول: إمّا أنْ تعتقدوه، وإمّا أنْ أنحركم نحر الخِراف؟! أين قوله تعالى:-

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ---}! [سورة البقرة: 256]

فإنْ كان هنا يتحدّث عن الحق {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ} وبعض النّاس يفهمون الحقّ على أنّه الاعتقاد فقط، لا، فالآية الثانية تتحدّث عن الدِّين {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ---} ففي كلّ مفاصل الدِّين، وفي كلّ جزئياتِ، وكلّ جوانب الدِّين ليس فيها إكراه، وإنْ كان شيء يشمُّ بعض النّاس منه رائحة الإكراه، أو الشدّة، أو

القوّة، فهذا المفهوم خطأ، والمفهوم يجب أنْ يُفهَمَ هذا التوجّه في فهم أهل الذوق، وأعلاهم وسيّدهم وإمامهم ومقتداهم سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه.

يعني: لمّا نزلت في حقوق النساء تأديبهن، والهجر في المضاجع:-

{--- وَاضْرِبُوهُنَّ ---} [سورة النساء: 34]

ماذا قال النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم؟ هل قال: اجلب العصا وكسّرها عليها، وكسّر أضلاعها؟! أم قال:-

(--- ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ---) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه

بالسواك هكذا، إذنْ هو كأنّه مزاح، ومثل ما ذكرت لكم والدي -رحمة الله عليه- لمّا سألني: صلّيت؟ قلت: لا يا أبي لم أصلِّ، قال: تعال، وبدأ يطبطب، وكأنّه يضربني كفًّا، قال: هذا تطبيق الحديث الشريف:-

(--- وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ---) الإمام أبو داود رحمه الرحيم الودود جلّ جلاله.

وبعدها قال: تعال أعطني قُبْلَة من هذا الخدّ الجميل! -رحمة الله عليه- هكذا.

أم أنّه جاءني بالضرب، وكسّر ظهري وبطَّ بطني!! لا، ليس هكذا.

طيّب، يأتي أحدهم ويفسّر القرآن الكريم كما يشتهي -سبحان الله العظيم-! لأنّه عنده تصوّر، هذا هو: عنده أنّ الإسلام عنف، أنّ الإسلام سيف، أنّه لا يوجد رحمة بالإسلام، بمعنى أنّه أخذها على طريقة ذلك المسكين الذي لا يعرف قراءة القرآن: حدّثني قاضي في البحرين -الله تعالى يحرسها ويحميها يا ربي

وجميع بلدان المسلمين- قلت له: سيادة القاضي ما هو أغرب موقف صار معك؟ قال: مرّةً امرأة اشتكت على زوجها -وأنا لا أذكر إلّا ما سمعتُ- والرَّجل -شهادة لله عزَّ وجلَّ- رجل صالح، محافظ على الصلوات الخمس في الجامع، حتى الفجر، حتى في بعض الأحيان الفجر يكون الأذان تقريبًا الساعة الثالثة على توقيت البحرين في الصيف فيأتي أحيانًا متأخرًا، يقول: يا شيخ لا نستطيع النوم؛ لأنّ صلاة العشاء في العاشرة، والفجر في الثالثة، المهم: أنّه رجل صالح لا أظنّه قالها للنكتة، وإنّما أجابني على سؤال، أنا قلت له: ما هو أغرب موقف حسب ما عندك من الوقائع التي تعرض عليك؟ قال: والله مرّة امرأة اشتكت على زوجها وجاءوا إلى المحكمة --- عضّها (زوجها) من جسمها عدّة مكانات حتى أدماها، متشاجر معها، فقلت له: لماذا؟ قال الله يقول: فعَضّوهنّ! (يعني قول الله تعالى:-

{--- فَعِظُوهُنَّ ---} [سورة النساء: 34]

طيّب، فهو يقرأ الآية هكذا، ويطبّق القرآن! (حسب تفكيره)

فتَعْجَبُ لواحد يقول لك إنّه من أهل العلم وكذا، ويأتي يفسّر القرآن الكريم وهو يغفل عن هذه الأصول، يغفل عن تاريخ النصّ، عن متعلَّق النصّ.

ومرّة يقول لي أحدهم:-

يا دكتور! هذا رأيك.

قلت له: هذا ليس رأيي، صـــحيح أنّي أؤكّد هذا، لكن ربّما يوجد مَنْ قال بهذا قبلي، وأكيد أنّه يوجد من العلماء، من الفضـــلاء مَنْ قال: إنَّ الدعوة ســـلمية، وليست إجبارية، ولا إكراهًا.

فقال: ماذا عن هذه الآيات التي كلّها جهاد، "وجاهدهم" "وجاهدهم" ... إلخ؟

قلت له: ليس كلّها قتال.

قال: مثلًا قوله تعالى:-

{--- وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [سورة الفرقان: 52]

قلت: نعم، ما ذا تعني هذه الآية؟

قال: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ} يعني: بالسلاح.

قلت له: سبحان الله! يا أخي الكريم، هذه آية من سورة الفرقان، وسورة الفرقان ســورة مكية، نزلت قبل هجرة خير البرية صــلّى الله تعالى عليه وآله وصــحبه وسلّم، هل تعلم ما معنى هذا؟

قال: ما معناه؟

قلت: يعني: أنّ في ذلك الوقت القتال لم يؤذن بـه، كـان محرّمًـا، لم يؤمر بـه، وهناك عدّة نصوص: ما أمرت بقتال النّاس، ما أمرت بهذا، اصبروا:-

(--- صَـبْرًا يَا آلَ يَاسِـرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ ---) الإمام البيهقي رحمه الرحيم العليُّ جلّ في علاه

بل أقلَّ من القتال، السبّ والشتم لا يجوز.

قال: إذن {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ} ماذا تعني؟

قلت له: بالقرآن، {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ} يرجع (الضمير) إلى القرآن الكريم:

{فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [سورة الفرقان: 52]

قال: والله هذه لا أعرفها!

فقلت له: يا أخي الكريم، عندما لا تعرف لا تتكلّم، هذا دِيْن.

إذنْ لا يوجد في الإسلام -حقيقة- قولًا واحدًا، أنّه ترفع السيف على رأس إنسان، لأجل أنْ تخرجه من الظلمات إلى النور، نحن قلنا إنّ الدعوة: إخراج النّاس من الظلمات إلى النور، وقلنا لكم يا أحبتي: هذه مشاورة، وأنا -إنْ شاء الله- بعدما أنتهي من هذه المشاورات أفتح لكم المجال، وأريد منكم، إنْ كان عندكم شيء يجب أنْ تبيّنوه لي، وإذا أنا أخطأت يجب أنْ تصحّحوا لي، لا عذر لكم عند الله عزّ وجلّ، كم مرّة قلتها لحضراتكم؟ إنْ رأيتم منّي اعوجاجًا فلم تقوّموني.

فسلمية الدعوة هذا أمر يدخل في شخصية الداعي، الداعي مسالم، ربّ العالمين قال:-

{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ---} [سورة الزمر: 18]

يأتي أحدهم فيقول لك -أستغفر الله- يقول لك:-

يوجد في الدِّيْن شيء ليس حَسَنًا، وشيء حَسَنٌ!

تقول له: كيف ذلك؟

يأتيك بالآية: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ---}!

يا أخي! الحسنُ موجود في الدِّين كلّه، ولكن هنالك حَسنٌ، وهنالك أحسنُ؛ وخير أنيس في العلوم مثال:-

مثلًا: أحدهم اعتدى عليك، تستطيع تأخذ بقوله عزّ شأنه:-

{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ---} [سورة الشورى: 40]

فالذي أساء إليك أنت تسيء إليه، لكن انتبه على المماثلة، بمعنى: ضربكَ كفًّا تضربه كفًّا، لا تضرب خمسة كفوف، وتقول: أنا أحبّ الرقم خمسة! لا.

مع أنّني أفهم حتى من هذه الآية أنّه يعني: في حالات نادرة جدًّا - لك أنْ تأخذ الحق، لأنّ المماثلة صعبة أنْ تتحقّق؛ بمعنى: هو ضربك كفًّا؛ كم قوّة هذا الكفّ؟ المفروض أنّك تضربه بالقوة نفسها! طيّب: من أين لك بمقياس يعطيك قوّة هذه الضربة وأنّها كانت سبعين مثلا؟ قوّة ضغطها على الجسم؟ فأنت يجب أنْ تضربه بالقوّة نفسها، ومن أين لك بهذا؟ هل في يدك جهاز إلكتروني وعندما تضرب كفّا تحدّد يدك على قوّة سبعين، وتضربه بقوّة بسبعين؟!

إذنْ هذا حسن، أنّك تطالب بحقّك، ولكن بمثل ما اعتدى عليك، طيّب: والأفضل والأحسن؟

{وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ---} [سورة البقرة: 237]

يا سلام! تبحثون عن التقوى؟ اذهبوا للعفو، هذا معنى:-

{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ---} [سورة الزمر: 18]

{وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُم ---} [سورة الزمر: 55]

طيّب، هذا فيما إذا كان لك حق، هو يدعوك إلى الأحســـن، فكيف إذا ما كان عندك حق أصـــلًا، فكيف يســـمح لك أنْ تتعدّى، أنْ تتجاوز، أنْ تبغض وتكره، والى آخره.

إذنْ (13) ســنة، الرســول الأعظم صــلّى الله تعالى عليه وآله وصــحبه وســلّم يؤسّس لحرّية الاعتقاد في حضارة الإسلام:-

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ---} [سورة البقرة: 256]

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ---} [سورة الكهف: 29]

بعد ذلك يدعوهم إلى الوســـائل المباركة الطيّبة المبنيّة على المودّة والرحمة والحكمة:-

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [سورة النحل: 125]

ربّما أحيانًا تكون اســـتثناءات، لكن ليس في هذه المرحلة، في هذه المرحلة لا يوجد استثناءات، بعد قيام دار الإسلام هناك جاءت أحكام، تقبل وجهات النظر، تقبل الاجتهادات، لأنّ الواقعة الشـــرعية تتأثر بالزّمان، والمكان، والحال، لذلك قالوا قولًا واحدًا (علماء الأصـــول) قالوا، وأقرّوا بتبدّل وتغيُّر الأحكام لتغيّر الأزمان، لماذا؟ لأنّ تغيّر الزمن، تغيّر المكان، وعندي الحقيقة أنّي أضـــفت كلمة: تغيّر الأحوال، هذه القاعدة الأصولية: بتغيّر الأزمان والأمكنة والأحوال، لماذا الأحوال؟ الأحوال أي أنت مثلًا: الله تعالى أعطاك الصحّة والعافية، الحمد لله صـــائم -الله يتقبّل-، لكن فلان من النّاس مريض الآن، فحالته حالة مرض،

فهنا تغيّر حكمه؛ يأتي واحد يعاند، كلُّ الأطبّاء يقولون له: والله الصيام يؤذيك، يقول: لا، كيف؟ لا أستطيع أنْ أفطر؛ يا أخي أنت سوف تقتل نفسك، والله عزَّ وجلَّ قال:-

{--- وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [سورة النساء: 29]

يقول: لا، كيف أفطر؟ قل له: صيامك حرام وفطرك واجب. تغيّر الحكم أم لا؟ نعم تغيّر؛ لماذا تغيّر؟ تغيّر بتغيّر الحال من صحة إلى مرض.

طيّب هذا حال صحة ومرض وهذا مفهوم (واضح) لكن مرّة أذكر لكم قصّة حصلت معي: زوجة تشكي زوجها:-

يا أختي ما به زوجك؟

قالت: يمنعني من قراءة القرآن الكريم، ترضون يا شيخ سعد الله!؟هو هذا الذي يأتي عندك بالجامع هكذا يمنعني من قراءة القرآن الكريم؟

والله يا أختي -على عيني ورأسي- أنا سمعتُ من عندك، ولكن يجب أنْ تأذني لي أسمع من زوجك.

قالت: نعم، اذهب واسأله، والله كما قلتُ لك.

قلت لها: إنْ شاء الله تعالى.

زوجها رجلٌ مواظب على الصلاة عندي، وأعرفه. جاء فسلّمت عليه، وقلت له:

يا أخي الكريم، أنا لا أعلم، ولكن وردني خبر هكذا، هل هذا صحيح؟

قال: نعم، والله صحيح يا شيخ.

انظروا أنت عندما تسمع كلمة: نعم صحيح، ربّما أحدهم يغضب فورًا: أيا ظالم، أيا كذا، نحن فقط نريد نسائنا يمسكون القرآن، وهذه تقرأ قرآن تمنعها! وكذا، وربّما يُسمعه كلامًا من هذا القبيل!

قلت له: طيّب، ممكن تشرح لي، يعني: كيف تمنعها.

قال: أنا سوف أشرح لك، وأنت احكم، قال: أنا عندي أطفال ثلاثة في الابتدائية، أحدهم في السادس الابتدائي، والثاني في الرابع الابتدائي، الثالث في الثالث الابتدائي، بين كلّ واحد والآخر تقريبًا سنة ونصف، أو سنتان.

قلت: طيّب.

قال: أمّهم تذهب تتوضأ، وتصلّي الظهر، وتمسك القرآن الكريم، بعد خمس دقائق تقريبًا عودتهم تكون من المدرسة، منذُ الصباح خرجوا، وهم الآن متعبون ذهبوا للدراسة، والطفل عندما يأتي للبيت متلهفًا، أمّه تستقبله بالأحضان، وقد أعدّتْ له الطعام، (وهم صغار ربّما بحاجة إلى عناية أمّهم، ربّما الأصغر منهم في الصف الثالث أو الثاني يحتاج أنْ تنزع عنه ملابسه، وتغسل له يديه، كذا، حتّى ذاك الأكبر منه، ربّما الذي في السادس الابتدائي هو يقوم بشؤون نفسه).

قلت له: نعم؟

قال: وهي ممسكة بالقرآن وتقرأ، وهؤلاء جاءوا يتبرمون، ويتضوعون ويتضرّعون، يا أمّي، يا أمّي! والله جائعون نريد طعامًا؛ فأقول لها: لا تقرأي

القرآن في هذا الوقت، نحن الذي فهمناه من شيخنا أنّ كلَّ زمانٍ له تقواه، وأنتِ تقواكِ الآن أنْ تقبّلي المصحف وتضعيه في المكتبة، وتأتي تعانقي ابنك، وتنظفي ابنك، وتطعمي ابنك... قال: فهذا من منعي لها من قراءة القرآن، الحق معي أم لا؟

قلت له: والله الحقّ معك يا أخي الكريم، الحقّ معك.

يعني: انظروا كيف يأتي الشخص يلوي القضية؟ قَلَبَتْهَا من طاعة إلى معصية، أو من معصية إلى طاعة.

إذن لا يصحّ لمَنْ يقرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ، وهو لا يعرف لا متعلّق النصّ، ولا زمن النصّ، ثمّ يجتهد -على أساس- ويأتي ويعطي أحكامًا، وأحكامًا خطيرة تتعلّق بالدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ.

إذنْ الدعوة كلّها سلمية، إلّا ما حصل من استثناء، أذكر لكم مثالًا: الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم قاتل في المسجد الحرام لساعة، يعني: في مكّة، بعد ذلك بيّن أنّ هذه ساعة الله عزَّ وجلَّ أذن لرسوله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام بها فقط، استثناءً، وعادت مكة حرامًا إلى يوم الدين، لا يصحّ لواحد يقول: والله أنا آتي أقاتل فيها، هذا استثناء، لا تُبنى عليها أحكام جديدة، فأنت لستَ مشرّعًا حتى تأتي تقول: إنّ الله استثناني من هذا النصّ.

فمثلاً:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ---}

[سورة التوبة: 123]

حالة استثنائية، الرسول الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه بعدما أقام دار إســـلام، وأراد أنْ يوطّد أركانها، بعدما هجموا كلّهم على هذه الدار، وأردوا أنْ يستأصلوها، ويجتاحوها، فكم غزوة أقاموا ضدّ دار الإسلام؟ هؤلاء المشركون لا تقبل منهم، إذا كانوا من أهل الكتاب إمّا الجزية أو السيف، ولكن هذه حالة استثنائية، فقط إبّان قيام دار الإسلام، على قول بعض أهل العلم.

وربّما هنالك قول: يأتي ويفسّر لك الآية بما ينسجم مع الثوابت الأخرى كلّها، بأنّ هذه لها وقائعَ خاصة، هذه {يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} يعني بها التي دائمًا يسمّونها في لغة الحروب يسمّونها: اســتباقية، حرب اســتباقية، يعني: أنت إذا تأكّدت 100% بأنَّ هذه قوّة ظالمة، تجمّع نفســها، وتقوّي نفســها، وتبني قدراتها وطاقاتها، و100% قادمون للهجوم عليك، ويهدمون دارك، دار الإســلام، ويقتلون حبيبك صــلّى الله تعالى عليه وآله وصــحبه وســلّم، أو يقتلون مَنْ هو وارثه وخليفته، ودار الإسلام موجودة، فأنت يجوز لك أنْ تذهب لقتالهم؛ لأنّهم بحكم المحاربين، بحكم {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ}.

وطبعًا هذا هنا بحث كبير، ولكن نحن لا نتحدّث عن مرحلة ما بعد الهجرة، نحن نتحدث عن مرحلة تأسيس الدِّين، عن مرحلة الأسس الأصلية في الدِّين، الدِّين قائم على عدم فرض العقيدة فرضًــا؛ لأنّ العقيدة اختيار، هو الإنســان العاقل الله جلّ وعلا أعطاه عقلا، هو يختار، هل يأخذ بهذه العقيدة؟ أم يأخذ بهذه العقيدة؟ بعقيدة الإيمان؟ أم بعقيدة الكفر؟

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر ---} [سورة الكهف: 29]

بعد ذلك بعدما قامت دار الإســـلام، وقال لهم خذوا، ســـأترك لكم كلّ شـــيء، اتركوني فقط، قالوا: لا نترك، نلحق بك هناك، وفعلًا حدث ذلك، فماذا يفعل؟ فنزلت الإباحة، إذنْ الإباحة قبلها ماذا كان؟ كان غير مأذون بالأمر، لم أؤمر بهذا.

لمّا جاء فتيان قريش الذين آمنوا مثل سـيّدنا الحمزة، وسـيّدنا عمر، سـيّدنا عبد الرحمن بن عوف، سيّدنا معاذ بن جبل، وغيرهم رضـي الله تعالى عنهم، قالوا: يا رســـول الله نحن كنّا أعزّاء في الجاهلية، لا يســـتطيع أحد أنْ يقول لنا: على عيونكم حاجب، الآن الله تعالى هدانا لهذا الحقّ، لهذا الخير، لهذه البركة، نُذلّ؟! ائذن لنا بمناجزة القوم، والله لو أنّه أعطى الإذن لسـيّدنا عمر رضـــي الله تعالى عنه لفعل ما فعل بأهل مكة، هو وحده فقط رضـي الله تعالى عنه وأرضـاه، وإذا كان معه سيّدنا الحمزة لقلبوها قلبًا، لكن ليس هذا دينه الذي أمر به.

هي ليسـت مسـألة غَيْرَة وأهواء، هذا تشـريع، وتشـريع ليس لمجموعة، تشـريع لأمّة تعيش قرونًا -الله تعالى أعلم- إلى متى؟ حتى تقوم السـاعة لا يوجد نبيّ من بعده صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم.

فإمّا أنْ تكون حالات اسـتثناء، وإمّا اجتهادات ولملمة للنصـوص، والنظر إليها، وهنالك أقوال أنا أقول بها أيضًا: إنّ آية السيف مخصوصة بأحوال معيّنة، لأنّها تعارض الثوابت، وبالتالي: الأصـــل في الدعوة إلى الله تبارك اســـمه الحكمة، وإشـــعار المقابل بأنّك تريد له الخير، تريد أنْ تخرج به من الظلمات إلى النور، إلى آخره.

فموضوع سلمية الدعوة -الحقيقة- موضوع أساسي في الدِّين، فإذا كان الأمر هكذا، فترجع أنت يا سعد الله إلى نفسك، إذنْ ينبغي أنْ تحقّق أنت السِّلم في حياتك، السِّلم الاجتماعي، السِّلم الأسري، حتى السِّلم النفسي، يعني: لا يجوز أنْ تعتدي على نفسك، وإنّ لجسدك عليك حقًا، فلا يجوز أنْ يعتدي على جسده، فسلام عام شامل.

فبعدما وصل الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، وأقام دار الإسلام، عند ذلك نزلت الآية الكريمة:-

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ---} [سورة الحج: 39]

انظر أوّل كلمة بها: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} ليس أُذِنَ لكم بأنْ تفرضوا الإسلام بالقتال، لا، أُذِنَ لكم أنتم يا مَنْ تُقاتَلُون، أُذِنَ لكم أنْ تردُّوا الكيد، وتردُّوا العدوان.

وسبحان الله: هذه الآية من سورة الحج، لا إله إلا الله، يعني: أنا أُريد منكم أبنائي وأحبابي أنّه دائمًا توسّعون مديات تفكيركم، يعني: انظر إلى الآية، انظر إلى عمقها اللغوي، انظر إلى تاريخها، انظر إلى كونها مكيّة، مدنية، انظر حتى إلى اسم السورة، الأحكام التي جاءت في السورة، لا تستعجل في إطلاق الأحكام، فقلت: سبحان الله! يعني: هذه آية أُذن فيها للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، والمسلمين أنْ يقاتلوا، في سورة الحج! سورة الحج يعني: سورة تبيّن شعيرة من شعائر الدِّين، كلّها مودّة ورحمة وسلام، يعني: الذي يُحْرِم بالحجّ، أو بالعمرة أظافره لا يستطيع أنْ يقصّها، فكيف سيقاتل؟ وكثير من المباحات أصبحت عليه حرامًا، هو لبسه غير طبيعي، ملابس لا يستطيع أنْ

يلبس، كلّها -حقيقة- هدايات في نفحات هذه الآيات، في نفحات هذه التسميات للسور ينبغي أنْ يُلتفت إليها؛ لأنّ هذا قرآن، هذا معجزة النبيّ العدنان عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل الفضل والعرفان.

فأفهم: أنّه حتى لو أُذن أنْ تدافعوا عن أنفسكم، لكن اجعلوا هذا الدفاع (كلّما خففتم من حدّته، كلّما وجدتم مجالًا للسّلم، فاجنحوا لها:-

{--- وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ---} [سورة الأنفال: 61]

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [سورة البقرة: 190]

طيّب: الحاج لا يقدر أنْ يصيد، فصيد البرّ عليه حرام، ما يقدر أنْ يحكّ -من غير ضرورة- رأسه؛ حتّى لا يسقط شعره، فكيف هذا؟ فالقصد: انظروا في هذه الأجواء شُرّع الإذن بالقتال، وليس الأمر بأنْ أنت تبادر وتذهب تقاتل، وتجيّش جيشًا، وتهجم على جيرانك، وتهجم على لا أدري مَنْ، وتأتي لك بأعذار، حتى تقتل الناس -نعوذ بالله تبارك وتعالى- هذا لا علاقة له بشرع الله جلّ وعلا، لا من قريب، ولا من بعيد، ويبقى الأصل:-

{--- ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [سورة فصلت: 34]

(13) سنة! يأتي شخص يقول: "(13) سنة بالنسبة لواحد عمره تسعون سنة ليست كثيرة، نقول له: يا أخي الكريم ينبغي أنْ ننتبه، (13) سنة من عمر

النبوّة، كم عمر النبوة؟ (23) سنة، يعني: أكثر من نصف الفترة، (13) سنة، لم يترك أمرًا، ولم تترك وسيلة من وسائل الإيذاء والإجحاف والظلم والطغيان، إلّا سلكوها، وهو صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم يقول ما أمرت بهذا:

(--- صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ ---) الإمام البيهقي رحمه الله جلّ وعلا.

{--- فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ---} [سورة سيّدنا يوسف عليه السلام: 18]

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ---} [سورة الأحقاف: 35]

{--- فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِه ---} [سورة البقرة: 109]

يأتيك شخص يقول لك: هل نبقى هكذا مقيّدين وهم يأتون ويقتلوننا؟ نعم، تذكّر أنّك محبّ، والمحبّ إذا قُتِل لأجل محبوبه، فهذا الفوز العظيم، هذه لغة المحبّين لا تنسى. والله إنْ أنت تنسى هذه الثوابت فماذا نفعل لك؟

فالحالات الاستثنائية فرضتها الوقائع والحوادث، وهذه لا تبقى قوالب ثابتة، هذه تُوْكَلُ إلى الشورى في الإسلام، بعد الشورى إذا أهل الشورى ما اتفقوا على شيء، يرجع الأمر إلى وليّ الأمر، وليس لمَنْ هبّ ودبّ، ويأتي ويقول: والله هو قد قال هكذا إذنْ لنطبّق! ماذا تطبّق أنت؟ بأيّ حقّ؟ من أين عندك هذه الشرعية الإيمانية بأنْ تقوم بهذه الأعمال؟

فلذلك لمّا الأمّة نسيت أو تناست، جهلت أو تجاهلت، ابتعدت عن مصادر فهم الشرع فهمًا سليمًا دقيقًا مبنيًّا على الأسس والثوابت الصحيحة، منبثقًا من الذوق العالي الرفيع، حصل في الأمّة ما حصل في كلّ الأزمنة.

إذا تدرس الفتن التي صـارت، سـببها الابتعاد عن هذا المصـدر، مصـدر أهل العلم، مصدر الراسخين في العلم، مصدر المتذوقين الربانيين.

فنســـأل الله عزّ وجلَّ أنْ يدلّنا عليهم، وأنْ يرزقنا بهم، وأنْ يؤدّبنا معهم، وأنْ يجعلنا نســـير على هداياتهم التي هي هدايات ربّ العالمين، بإذن الله تبارك وتعالى وفضله وبركته ورحمته. إنّ ربّنا على كلّ شيء قدير، وبالإجابة جدير.

سبحانك اللهمّ وبحمدك نشهد أنْ لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

اللهمّ صـلّ وسـلّم وبارك على خاتم أنبيائك سـيّدنا وحبيبنا وقرّة أعيننا وملاذنا حبيبنا محمّد وعلى آله وصـحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.